الخطبة الإذاعية (٦٧) : خ١ – صلة الرحم ، خ٢ – الجاليات العربية وصلة الأرحام.
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-١٠-٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، الملك القدوس السلام، أحمد ربي وأشكره على عظيم الإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو العزة التي لا تضام، وذو الملك الذي لا يرام، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من صلى وصام، وحج بيت الله الحرام، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمدٍ وعلى آله وصحبه الكرام.

أما بعد، فاتقوا الله عباد الله حق التقوى، فهي وسيلتكم إلى ربكم في هذه الدنيا، وفي الأخرى .

نحن في أوائل رمضان... وفي الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتْ الشَّيَاطِينُ))

[رواه البخاري ومسلم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ))

[الترمذي، ابن ماجه]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[رواه البخاري ومسلم]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[رواه البخاري ومسلم]

أمّةَ القرآن، هذا شهر الصيام، أحد أركان الإسلام، فضله الله على شهور العام، وأفاض فيه على المسلمين الخيرات والبركات، وضاعف لهم فيه الحسنات، وتجاوز فيه عن الذنوب والسيئات، أقال فيه العثرات، فهو شاهد للمحسنين، وشاهد على المعرضين والمفسدين، وأنتم معشر المسلمين في أوله، وما أسرع انقضاء آخره، فأروا الله من أنفسكم خيراً بالتوبة من المحرمات، وبفعل الطاعات، فإن هذا الشهر من أسباب مكفرات الذنوب، والشفاء من العيوب، فرض الله جل جلاله عليكم صيامه، وسنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه، وبشر على القيام بذلك أعظم البشائر، فاغتنموا هذا الشهر يا ذوي الألباب والبصائر.

وموضوعات رمضان الكبرى: التقوى، وهي علة الصيام، والقرآن حيث أنزل في رمضان، وصلة الأرحام أفضل أوقاتها في رمضان، ثم ليلة القدر، والعتق من النار، وقد تحدثت في خطبتين سابقتين في هذا المسجد عن التقوى، وأنها علة الصيام، وعن القرآن الذي أنزل في رمضان، وها نحن أولاء نتحدث عن صلة الأرحام.

أهمية صلة الرحم من العبادات التعاملية

إنّ رمضان شهرُ البرّ والصلةِ، وشهر التعاطفِ والمرحمةِ، فالقلوب تلين لذكرِ الله، والنفوسُ تستجيبُ لداعي الله، فلا ترى من جرّاء ذلك إلا أعمالاً زاكيات، وقرباً من ربّ الأرض والسماوات.

ذلك لأن الإسلامَ يهدِف إلى بناءِ مجتمعٍ متراحمٍ متعاطِف، تسودُه المحبّةُ والإخاء، ويهيمِن عليه حبّ الخيرِ والعَطاء، والأسرةُ وحْدةُ المجتمع، تسعَد بتقوى الله ورعايةِ الرّحِم، لذلك اهتمّ الإسلامُ بتوثيق عُراها، وتثبيتِ بُنيانها، فجاء الأمر برعايةِ حقّها بعدَ توحيد الله وبرّ الوالدين، قال جلّ وعلا:

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى ﴾

[النساء: ٣٦]

وقُرِنَت مع إفرادِ الله بالعبادةِ والصّلاةِ والزّكاة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ))

[متفق عليه]

وقد أُمِرَت الأمم قبلَنا بصِلة أرحامِها، قال سبحانه:

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى ﴾

[البقرة: ٨٣]

ودَعا إلى صِلتها نبيُّنا محمّدٌ (ص) في مَطلعِ نُبوّته، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ:

((كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ

(ص) مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ ؟ قَالَ: أَنَا نَبِيٌّ، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي اللَّهُ، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ...))

[رواه مسلم]

وسأل هِرقل أبا سفيانٍ عن النبيّ ما يقول لكم ؟ قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ:

((سَأَلْتُكَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالْعَفَافِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ))

[رواه البخاري ومسلم]

وأمَر بها عليه الصلاة والسلام أوّلَ مقدمِه إلى المدينة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ قِبَلَهُ، وَقِيلَ: قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ، ثَلَاثًا، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، فَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ:

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ))

[رواه الترمذيّ وابن ماجه واللفظ له]

وهي وصيّة النبيّ (ص)، قال أبو ذر:

((أوصاني خليلي بصِلة الرّحم وإن أدبرَت))

[رواه الطبراني]

فصِلةُ ذوي القربَى أمارةٌ على الإيمان، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((... وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ...))

[متفق عليه]

صلةُ الحرم عبادةٌ جليلة مِن أخصِّ العبادات، يقول عمرو بن دينار: "**ما مِن خَطْوةٍ بعد الفريضةِ أعظمُ أجرًا من خَطوةٍ إلى ذي الرّحم** ".

ثوابُها معجَّل في الدنيا، ونعيمٌ مدَّخرَ في الآخرة، قال (ص):

((ليس شيء أُطِيعَ اللهُ فيه أعْجَل ثوابًا من صِلةِ الرحم))

[رواه البيهقيّ]

والقائمُ بحقوقِ ذوي القربَى موعودٌ بالجنّة، يقول عليه الصلاة والسلام عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

((... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ، ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى، وَمُسْلِمٍ وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ))

[رواه مسلم]

أمَرَ الله بالرّأفة بالأرحام كما نرأف بالمِسكين، قال عزّ وجلّ:

﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾

[الإسراء: ٢٦]

وحقُّهم في البذلِ والعطاء مقدّمٌ على اليتامَى والمساكين، قال سبحانَه:

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾

[البقرة: ٢١٥]

وللسخاءِ عليهم ثوابٌ مضاعفٌ من ربِّ العالمين، عَنْ سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ الضَّبِّيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ))

[النسائي وابن ماجه]

وأوّلُ مَن يُعطَى مِن الصدقة هم الأقربون مِن ذوي المَسكنَة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ، فَقَالَ: بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، قَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ فِيهَا، وَأَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ، قَالَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ))

[متفق عليه]

فالباذلُ لهم سخيُّ النّفس، كريم الشّيَم، يقول الشعبيّ رحمه الله: " **ما ماتَ ذو قرابةٍ لي وعليه دينٌ إلاّ وقضيتُ عنه دينه** ".

ماذا تعني كلمة الأرحام ؟

الأول: رحم الدين، وهي رحم عامة تشمل جميع المسلمين، وتتفاوت صلتهم حسب قربهم وبعدهم من الدين، وكذلك حسب قربهم وبعدهم المكاني.

ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾

[الحجرات: ١٠]

فأثبت الله الأخوّة الإيمانية لجميع المسلمين.

وقوله:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾

[محمد]

الثاني: رحم القرابة، القريبة والبعيدة، من جهتي الأبوين.

ولكل من هذين النوعين حقوق ونوع صلة.

الروابطُ تزداد وُثوقًا بالرّحم، وقريبُك لا يَمَلّكَ على القرب، ولا ينسَاك في البُعد، عِزّهُ عزٌّ لك، وذُلّه ذُلٌّ لك.

قال القرطبي رحمه الله: " اتفقت الملة على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة.

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهَا:

((إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ))

[أحمد]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَتَدْفَعُ عَنْ مِيتَةِ السُّوءِ))

[الترمذي]

ما معنى صلة الرحم ؟

الرحم العامة رحم الدِّين، ويجب صلتها بملازمة الإيمان، والمحبة للمؤمنين، ونصرتهم، والنصيحة لهم، وترك أذيتهم، والعدل بينهم، والإنصاف في معاملتهم، والقيام بحقوقهم الواجبة، كتمريض المرضى، ومواساة الفقراء، من دون أن يمن عليهم، ونصرة المظلومين، وحقوق الموتى، من غسلهم، والصلاة عليهم، ودفنهم، وغير ذلك من الحقوق المترتبة لأهل الإيمان .

الرحم الخاصة رحم القرابة، وتكون صلتها بزيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، والإهداء إليهم، والتصدق على فقيرهم، والتلطف مع وجيههم وغنيّهم، وتوقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم، وتكون الصلة باستضافتهم، وحسن استقبالهم، وإعزازهم، ومشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحِهم.

وتكون الصلة أيضاً بالدعاء للأرحام، وسلامة الصدر لهم، والحرص على نصحهم، ودعوتهم للخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وإصلاح ذات البين إذا فسدت وتكون الصلة أيضاً

ببشاشةٍ عند اللّقاء، ولينٍ في المُعاملة، إلى طيبٍ في القول، وطلاقةٍ في الوجه، وزيارات وصِلات، وإحسانٌ إلى المحتاج، وبذلٌ للمعروف، ونصحُهم، والنّصحُ لهم، ومساندةُ مكروبِهم، وعيادةُ مريضهم، الصفحُ عن عثراتهم، وترك مُضارتهم، والمعنى الجامِع لذلك كلِّه: إيصالُ ما أمكَن من الخير، ودفعُ ما أمكنَ منَ الشرّ.

ثم إن الأقارب يختلفون في أحوالهم، وطباعهم، ومنازلهم، فمنهم من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، والمكالمة الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه، والصلة بالقول، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً، ويلتمس المعاذير لأرحامه، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالاهتمام الدائم، فمعاملتهم بهذا المقتضى تعين على حسن الصلة بهم، واستيفاء مودتهم.

وبشكل مختصر تبدأ صلة الرحم بنوع من الاتصال الهاتفي أو البريدي، ثم الزيارة، ثم تفقد الأحوال المعيشية والاجتماعية، ثم المساعدة بألطف أسلوب، ثم الأخذ بيد القريب، وأهله إلى الله، وحملهم على طاعته، والتقرب إليه، وهذا تاجٌ تتوّج به هذه الصلة، وعندئذ تكون هذه الصلة حققت هدفها الأكبر.

أيها الأخ الكريم:

حتى لو كان الأقارب من النوع المتعب الذي يقابل الإحسان بالإساءة، فلا يجوز أن تقاطعهم، لأنك تتعامل مع الله تعالى طاعة لأمره، والتزاما بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعلى ذلك يجب على المسلم أن يسلك كل السبل ليصل أرحامه، ويحسن إلى أقاربه وجيرانه.

إنّ ذوي الرّحِم غيرُ معصومين، يتعرّضون للزّلَل، ويقَعون في الخَلل، وتصدُر منهم الهَفوات، ويقَعون في خطيئات كبيرات، فإن بَدَر منهم شيءٌ من ذلك فالزَم جانبَ العفوِ معهم، فإنَّ العفوَ من شِيَم المحسنين، وما زادَ الله عبدًا بعفو إلاّ عِزًّا، وقابِل إساءَتهم بالإحسان، واقبل عُذرَهم إذا اعتذروا، ولك في النبي الكريم يوسف القدوة والأسوة، فقد فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبِل عذرهم وصفَح عنهم الصفحَ الجميل، ولم يوبِّخهم، بل دعا لهم وسأل الله المغفرةَ لهم،

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[يوسف]

فغُضَّ عن الهفواتِ، واعفُ عن الزّلاّت، وأقِلِ العثرات، تجْنِ الودَّ والإخاء، واللينَ والصفاء، وتتحقَّقُ فيك الشهامةُ والوفاء، وداوِم على صِلة الرّحم، ولو قطعوا، وبادِر بالمغفرة، وإن أخطؤوا، وأحسِن إليهم وإن أساؤوا، ودَع عنك محاسبةَ الأقربين، ولا تجعَل عِتابَك لهم سبباً لبعدهم عنك، وكُن جوادَ النّفس كريمَ العطاء، وجانبِ الشحَّ، فإنّه من أسباب القطيعة، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِّ، أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا))

[أبو داود، أحمد]

قيل لأحدهم: ما حقّ الرّحم ؟ قال: " **تُستَقبَل إذا أقبَلت، وتُتْبَع إذا أدبَرت** ".

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ:

((يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ))

[رواه مسلم]

أما إذا كانت الرحم فاجرة أو فاسقة، فتكون بالعظة والتذكير، وبألطف تعبير، وبذل الجهد الكبير، فإذا أعيتك الحيلة في هدايتهم كأن ترى منهم عناداً، أو استكباراً، أو أن تخاف على نفسك أن تتردى معهم، وتهوي في حضيضهم فابتعد عنهم، واهجرهم الهجر الجميل الذي لا أذى فيه ولا تحقير، وردد هاتين القاعدتين ؛ " **دع خيراً عليه الشر يربو** "، و " **درء المفاسد مقدم على جلب المنافع** "، وأكثر من الدعاء لهم بالهداية، وأعد الكَرة بعد الكَرة، والمرة تلو المرة.

وإكرامُ ذوي القراباتِ مأمور به، على ألاّ يكونَ في التّقديمِ بخسٌ لأحدٍ أو هضمٌ لآخرين، قال سبحانه:

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾

[الأنعام: ١٥٢]

ثمار صلة الرحم:

صلةُ الرّحم تدفَع بإذن الله نوائبَ الدّهر، وترفع بأمرِ الله عن المرء البَلايا، قَالَ جبريل للنبي (ص):

((﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي، زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ، وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ))

[رواه البخاري ومسلم عن عائشة]

لقد خلق الله الرحمَ، وشقّقَ لها اسمًا من اسمِه، ووعَد ربُّنا جلّ وعلا بوصلِ مَن وصلَها، ومَن وصَله الرحيمُ، وصلَه كلُّ خير، ولم يقطَعه أحد، ومن بَتَره الجبّار لم يُعلِه بشرٌ، وعاشَ في كَمَد،

﴿ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ ﴾

[الحج: ١٨]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَهُوَ لَكِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾))

[متفق عليه]

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ))

[مسلم]

صلةِ الرّحم ؛ محبّةٌ للأهل، وبَسطُ الرّزق، وبركةُ العُمر، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي أَثَرِهِ))

[رواه أحمد]

وفي صحيح البخاريّ ومسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))

[متفق عليه]

صلةُ الرّحم أمارةٌ على كَرَم النّفس، وسَعَةِ الأفُق، وطيبِ المنبَتِ، وحُسن الوَفاء، ولهذا قيل: مَن لم يَصْلُحْ لأهلِه لم يَصْلُحْ لك، ومَن لم يذُبَّ عنهم لم يذبَّ عنك، يُقْدِم عليها أولو التّذكرةِ وأصحابِ البصيرة.

وصلة الرحم مدعاة لرفعه الواصل، وسبب للذكر الجميل، وموجبة لشيوع المحبة، وعزة المتواصلين.

صلة الرحم تقوّي المودَّة، وتزيدُ المحبّة، وتتوثَّق عُرى القرابةِ، وتزول العداوةُ والشّحناء، فيها التعارفُ والتواصلُ والشعور بالسّعادة .

واقع معظم المقصرين:

كثير من الناس مضيعون لهذا الحق، مفرطون فيه، فمن الناس من لا يعرف قرابته لا بصلة ولا بمال، ولا بجاه ولا بحال، ولا بخلق ولا بود، تمضي الشهور وربما الأعوام ولا يقوم بزيارتهم، ولا يتودد إليهم لا بصلة ولا بهدية، ولا يدفع عنهم مضرة ولا أذية، بل ربما أساء إليهم، وأغلظ القول لهم.

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أتراحهم، ولا يتصدق على فقرائهم، بل تجده يقدم عليهم الأباعد في الصلات والهبات.

ومن الناس من يصل أقاربه إن وصلوه، ويقطعهم إن قطعوه ، وهذا في الحقيقة ليس بواصل، وإنما هو مكافئ للمعروف بمثله، وهو حاصل للقريب وغيره، والواصل حقيقة هو الذي يتقي الله في أقاربه، فيصلهم لله سواء وصلوه أو قطعوه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنْ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا))

[البخاري]

ومن مظاهر القطيعة: أن تجد بعض الناس يحرص على دعوة الأباعد، ويغفل أو يتغافل عن دعوة الأقارب، وهذا مالا ينبغي ؛ فالأقربون أولى بالمعروف قال الله عز وجل:

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾

[الشعراء:٢١٤]

نتائج قطيعة الرحم:

إنّ معاداة الأقاربِ شرّ وبلاء، الرّابح فيها خاسِر، والمنتصِر مهزوم، وقطيعةُ الرّحم مِن كبائر الذّنوب، وقبائح العيوب متوَعَّدٌ صاحبُها باللّعنةِ والثبور، قال تعالى:

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

[محمد: ٢٢ . ٢٣]

فالتدابرُ بين ذوِي القربَى مؤذِنٌ بزوالِ النِّعمة وسوءِ العاقبةِ وتعجيلِ العقوبة، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))

[رواه البخاري ومسلم]

فعقوبتُها معجَّلة في الدّنيا قبلَ الآخرة، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ . أي الظلم . وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ))

[رواه الترمذي]

قطيعة الرحم سببٌ للذِلّة والصّغار، والضّعفِ والتفرّق، مجلَبةٌ للهمّ والغمّ، فقاطعُ الرّحم لا يثبُت على مؤاخاة، ولا يُرجَى منه وفاء، ولا صِدقٌ في الإخاء، يشعر بقطيعةِ الله له، ملاحَقٌ بنظراتِ الاحتِقار، مهما تلقَّى من مظاهِر التبجيل، لقد كان الصحابة رضي الله عنهم يستوحِشون مِن الجلوس مع قاطِع الرّحم.

الخطوة العملية:

ومن كان بينه وبين رحمٍ له عداوة فليبادِر بالصّلة، وليعفُ وليصفح،

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾

[الشورى: ٤٠]

وإنّ لحُسنِ الخُلُق تأثيرًا في الصّلة، والزَم جانبَ الأدَب مع ذوي القربَى، فإنّ مَن حَفِظَ لسانَه أراح نفسَه، وللهديّةِ أثرٌ في اجتلابِ المحبّة، وإثباتِ المودّة وإذهابِ الضغائن، وتأليفِ القلوب.

والرسول صلى الله عليه وسلم يحذرنا من الخصام والخلاف والقطيعة فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ))

[البخاري]

ويقول ربنا سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت]

يحذرنا صلى الله عليه وسلم من مصير قاطع الرحم، فعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ))

قَالَ سُفْيَانُ: يَعْنِي قَاطِعَ رَحِمٍ.

[متفق عليه]

واحذروا أيها المؤمنون من قطيعة الرحم، فإنها سبب للعنة الله وعقابه، يقول الله عز وجل:

خ١ – صلة الرحم ، خ٢ – الجاليات العربية وصلة الأرحام.

﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾

[محمد]

ويقول تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾

[الرعد]

من هدي النبي ص في صلة الرحم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرق الناس، وأعفهم، وأوصلهم، وأحلمهم ؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه ومناقبه في القرآن، فقال:

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم:٤]

وقال له:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

[آل عمران:١٥٩]

فقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه صلى الله عليه وسلم، قام قرابته . أبناء عمه وأقاربه . فأخرجوه من مكة، وطاردوه وشتموه وآذوه، حاربوه في المعارك، ونازلوه في الميدان، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده، فلما انتصر ماذا فعل ؟

دخل مكة منتصراً ، ووقفت له الأعلام مكبرة، وطنت بذكر نصره الجبال والوهاد، فلما انتصر، وقف عند حلق باب الكعبة صلى الله عليه وسلم منحنياً، وهو يقول للقرابة وللعمومة:

((ما ترون أني فاعل بكم ؟ فيتصورون الجزاء المر، والقتل الحار، والموت الأحمر، فيقولون وهم يتباكون: أخ كريم، وابن أخ كريم، فتدمع عيناه، ويقول: اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[السيرة النبوية]

كأنه يقول: عفا الله عنكم وسامحكم.

ويأتي ابن عمه أبو سفيان بن الحارث، فيسمع بالانتصار، وقد آذى الرسول عليه الصلاة والسلام، وشتمه وقاتله، فيأخذ هذا الرجل أطفاله، ويخرج من مكة، فيلقاه علي بن أبي طالب، ويقول: يا أبا سفيان ! إلى أين تذهب ؟ قال: أذهب بأطفالي إلى الصحراء فأموت جوعاً وعرياً! والله إن ظفر بي محمد ليقطعني بالسيف إرباً إرباً ! فيقول علي . وهو يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخطأت يا أبا سفيان ! إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصل الناس، وأبر الناس، وأكرم الناس، فعد إليه، وسلم عليه بالنبوة، وقل له كما قال إخوة يوسف ليوسف:

﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

[يوسف:٩١]

فيأتي بأطفاله، ويقف على رأس المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويقول: يا رسول الله! السلام عليك ورحمة الله وبركاته:

﴿ تَا للَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾

فيبكي عليه الصلاة والسلام، وينسى تلك الأيام، وتلك الأعمال، وتلك الصحف السوداء، ويقول:

﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

ويقول أبو سفيان بن حرب: يا بن أخي، ما أوصلك ؟ ما أرحمك ؟ ما أحكمك ؟ ما أعقلك ؟

فهل من متسم بأخلاقه ؟ وهل من مقتد بأفعاله ؟ فإنه الأسوةُ الحقة، وإن اتباعه نجاة من العار والدمار والنار.

تأتيه أخته من الرضاعة صلى الله عليه وسلم، وقد ابتعدت عنه عقوداً عديدة، فتأتيه وهو لا يعرفها، وهي لا تعرفه، وتسمع وهي في بادية بني سعد في الطائف بانتصاره، فتأتي لتسلم على أخيها من الرضاع، وهو تحت سدرة عليه الصلاة والسلام، والناس بسيوفهم بين يديه، وهو يوزع الغنائم بين العرب، فتستأذن، فيقول لها الصحابة: من أنت ؟ فتقول: أنا أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة، أنا الشيماء بنت الحارث أرضعتني أنا وإياه حليمة السعدية، فيخبرون الرسول عليه الصلاة والسلام فيتذكر القربى وصلة الرحم، ويقوم لها ليلقاها في الطريق، ويرحب بها ترحيب الأخ لأخته بعد طول غياب، وبعد الوحشة والغربة، ويأتي بها ويجلسها مكانه، ويظللها من الشمس.

تصوروا رسول البشرية، ومعلم الإنسانية، ومزعزع كيان الوثنية، يظلل هذه العجوز أخته من الرضاع من الشمس، ويترك الناس وشئون الناس، ويقبل عليها ويسألها، ويقول لها: يا أختاه كيف حالكم ؟: يا أختاه اختاري الحياة عندي، أو تريدين أهلك ؟ فتقول: أريد أهلي، فيمتعها بالمال ويعطيها مئة ناقة، ليعلمِّ الناس صلة الأرحام .

يا سيدي، يا رسول الله، يا من كانت الرحمة مهجتك، والعدل شريعتك، والحب فطرتك، والسمو حرفتك، ومشكلات الناس عبادتك !!!

يا سيدي يا رسول الله، نقل عنك في أحاديثك الصحيحة، أنك تقلق أشد القلق، يوم القيامة على أمتك، فتقول أمتي، أمتي، فيقال لك لا تدري ماذا أحدثوا بعدك ؟

يا سيدي يا رسول الله، الذي أحدثوه بعدك أنهم قطعوا عماتهم وخالاتهم، وبناتهم وأخواتهم ؟ وحرموهن من الميراث الذي فرضه الله لهن، وقطعوهن من الصلة والزيارة ؛ حتى سمعنا ورأينا من الأمهات الفقيرات من تضطر الواحدة منهن أن تقيم دعوى على ابنها المترف من أجل أن ينفق عليها، هان أمر الله علينا من بعدك فهنا على الله .

أسباب قطيعة الرحم:

وإذا أنعمنا النظر في أسباب قطيعة الأرحام ؛ وجدنا أن من تلك الأسباب:

١. الجهل بعواقب القطيعة، والجهل بفضائل الصلة، والتفكر في الآثار المترتبة على الصلة ؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها، وكذلك النظر في عواقب القطيعة، وتأمل ما تجلبه من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها، والبعد عنها.

٢. ضعف التقوى، والكبر، فبعض الناس إذا نال منصباً رفيعاً، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجراً، أو مشهوراً ؛ تكبر على أقاربه، وأنف من زيارتهم والتودد إليهم.

ومما يحبب الإنسان لقرابته، ويدنيه منهم تواضعه ولين جانبه:

من كان يحلم أن يسود عشيرة فعليه بالتقوى و لين الجانب

و يغض طرفاً عن مساوي من أسا منهم ويحلم عند جهل الصاحب

٣. الانقطاع الطويل الذي يقود إلى الوحشة، واعتياد القطيعة.

٤. العتاب الشديد، فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه ؛ أمطر عليه وابلاً من التقريع والعتاب على تقصيره في حقه ، وإبطائه في المجيء إليه ؛ ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه.

وعلاج ذلك تحمل عتابهم، وحمله على أحسن المحامل، فهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سؤددهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم ؛ فإذا عاتبهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم، لتقصيرهم في حقه ؛ لم يثرّبوا عليهم، ولم يجاروه في عتابه بل يتلطفون به، ويحملون عتابه على المحمل الحسن، فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، حريص على مجيئهم ويشعرونه بذلك، ويشكرونه، ويعتذرون إليه، حتى تخف حِدَّتُه، وتهدأ ثورته، فبعض الناس يقدر ويحب ؛ ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب، والكرام يحسنون التعامل مع هؤلاء، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك ما أخطأت في حسن نيتك.

٥. التكلف الزائد، فهناك من الناس من إذا زاره أقاربه تكلَّف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وقد يكون – مع ذلك – قليل ذات اليد، ومن هنا تجد أقاربه يقصرون عن المجيء إليه، خوفاً من إيقاعه في الحرج.

٦. وتجد من إذا زاره أقاربه لم يهتم بهم، ولم يصغ لحديثهم، ولا يفرح بمقدمهم، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرودة، مما يقلل رغبتهم في زيارته.

٧. الشح والبخل، فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهاً تهرب من أقاربه، حتى لا يرهقونه بطلباتهم المتنوعة.

وعلاج ذلك بذل المستطاع لهم من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال، وأن يدع المنة عليهم، والتعاون على حل مشكلاتهم المادية والاجتماعية والدينية، فإذا ما احتاج أحد من أفراد الأسرة مالاً لزواج، أو نازلة أو غير ذلك ؛ قاموا بدراسة حاله، ورفدوه بما يستحق، فهذا مما يولد المحبة بين الأقارب.

٨ . تأخير قسمة الميراث، فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم، إما تكاسلاً منهم، أو قلة وفاق فيما بينهم، وكلما تأخر قسم الميراث شاعت العداوة، وكثرت المشكلات، وزاد سوء الظن، وحلت القطيعة.

٩. الشراكة بين الأقارب، فكثيراً ما يشترك الإخوة أو غيرهم من الأقارب في مشروع أو شركة ما، دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشراكة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة، والحياء، وحسن الظن. فإذا زاد الإنتاج، واتسعت دائرة العمل ؛ دب الخلاف، وساد البغي، ونزغ الشيطان، وحدث سوء الظن خصوصاً إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبداً برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من صاحبه، ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت بهم الحال، إلى الخصومات في المحاكم ؛ فيصبحون سبّة لغيرهم.

﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾

[ص: ٢٤]

١٠. الاشتغال بالدنيا، والانشغال بها عن أداء واجباته تجاه أرحامه، لذلك وجب أن تكون لهم اجتماعات دورية شهرية أو نصف شهرية، أو نحو ذلك.

١١. والطلاق بين الأقارب إذا لم يكن بإحسان.

١٢. وبُعد المسافة، والتكاسل عن الزيارة.

١٣. وقد يكون التقارب في المساكن بين الأقارب مسبباً للقطيعة بسبب ما يكون من التزاحم على الحقوق، وبسبب ما يحدث بين الأولاد من مشكلات قد تنتقل إلى الوالدين

١٤. قلة التحمل، والصبر على الأقارب.

خ١ – صلة الرحم ، خ٢ – الجاليات العربية وصلة الأرحام.

١٥. ونسيانهم في الولائم والمناسبات، فقد يفسر هذا النسيان بأنه تجاهل واحتقار، فيقود ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

ومن الطرق المجدية أن يسجل أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم، ثم يحفظها عنده، حتى يستحضرهم جميعاً، ويتصل بهم إما مباشرة أو عبر الهاتف، أو غير ذلك.

الإخلاص في صلة الرحم:

يراعي في صلة الأرحام أن تكون الصلة قربة لله، خالصة لوجهه الكريم، وأن تكون تعاوناً على البر والتقوى، ولا يقصد بها حمية الجاهلية.

أيها الإخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

***

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صل، وسلم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

إنّ الجاليات الإسلامية والعربية منتشرة في شتى بقاع الأرض، وبعض الجاليات في بعض البلاد الغربية القريبة والبعيدة تفوقت تفوقاً يلفت النظر، فبينما لا يزيد عدد الحاملين للدكتوراه، من السكان الأصليين على الثمانية بالألف نجد أن الذين يحملون الدكتوراه في الجاليات الإسلامية يزيد على ثلاثة وثلاثين في الألف، هؤلاء المتفقون علمياً تسلّموا مناصب رفيعة في بلاد المهجر في الطب والفلك والاقتصاد والذرة.

والآن، ما علاقة أفراد الجاليات الإسلامية بموضوع الخطبة اليوم (صلة الأرحام) ؟

الحقيقة أن أفراد الجاليات الإسلامية والعربية هؤلاء ينبغي أن يكونوا رسلاً لإسلامهم ولأوطانهم، وهم إذ ينقلون للغرب القريب والبعيد حقائق الإسلام ومبادئه وقيمه، دعوة، ويطبقونها منهجاً في حياتهم، يأخذ الغرب من الإسلام موقفاً غير هذا الموقف الذي يؤلمنا أشد

الألم، وهم إذ ينقلون لأمتهم التي ترعرعوا في كنفها، ونبت لحمهم من خيراتها، وتلقوا العلم في جامعاتها، أفضل ما في الغرب من علم ونظام وعمل دؤوب، ولا ضير في ذلك، لأن ثقافة أية أمة هي ملك البشرية جمعاء، لأنها بمثابة عسل استخلص من زهرات مختلف الشعوب على مر الأجيال، وهل يعقل إذا لدغتنا جماعة من النحل أن نقاطع العسل الذي حصلته من أزهارنا ؟ فإن فعلت الجاليات الإسلامية والعربية ذلك تكون قد وصلت رحمها بطريقة معاصرة، ولا أدل على ذلك من أن كبار مفكري الغرب يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على العالم.

يقول غوته: إن دين الإسلام دين إخلاص، ودين اجتماع وأخلاق، ورعاية لبني الإنسان.

ويقول برناردشو: الإسلام هو الدين الذي نجد فيه حسنات الأديان كلها، ولا نجد في الأديان حسناته.

ويقول غوستاف لوبون: إن الأمم لم تعرف بحق فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم.

ويقول ولي عهد بريطانية: إن كثيراً من المزايا التي تفخر بها أوربة العصرية جاءت أصلاً من إسبانيا في أثناء الحكم الإسلامي.

ويقول ديورانت: إن محمداً . ص . كان من أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي للناس، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يدانِه فيه أيّ مصلح آخر.

لذلك استضاف معرض فرانكفورت الدولي للكتاب الحضارة العربية والإسلامية لت

والحمد لله رب العالمين